

نرثيك أم لأنفسنا يكون الرثاء بقلم: د. هشام أحمد فرارجه

2005-11-12

يا صانع الثورة... يا قائد الثورة ... يا سيد الثوار ...
نستميحك عذراً إن كنا نتوقف اليوم لرثاء أنفسنا لأننا نأبى أن نرثي الرمز الذي لن
يموت. وإن أذن لنا القديسون والصدیقون والشهداء أن نسترق منهم بعض
اللحظات كي نتخاطب في حضرة روحك، فاعلم علم اليقين أنه ما دام فينا شريان
ينبض، فإن الأمور لن تستوي الا كما أردت وأوصيت وهتفت وأكدت. فكما لم يختلف
أحد عليك طوال المسيرة، فالجميع يقرون بأن الثوابت التي رسمت ستبقى هي
الثوابت.

يا من حيرت العبقريات في هذا العالم قبل وبعد رحيلك! يا صانع الكرامة في أرض
الكرامة في وقت عزت فيه للأمة كرامة! وأنت يا فارس بيروت، أكد لرفاق دربك هناك
في الفردوس الأعلى من أمثال الشيخ أحمد ياسين وعبد العزيز الرنتيسي ويحيى
عياش وأبو علي مصطفى وفتحي الشقاقي وحسين عبيات ورأسم حلاوة وآيات
الأخرس ودلال المغربي ومحمود المغربي ومحمد الدرة وإيمان حجو وأبو إياد وأبو
جهاد وكل الذين نضرع الى الله أن نلحق بركبهم، أكد لهم أن شعبك، شعب
الجبارين، لن يكل ولن يمل في حمل الرسالة التي جسدت على مدى أكثر من
أربعين عاما متتالية، متفانيا الا لنفسك ومتجردا الا من ايمان وعزيمة وإصرار لا
تلين.

أيها الفدائي الثائر، تماما كما أنك بكوفيتك وبزتك العسكرية وبندقيتك وبهامتك
المرفوعة جبت الأرض بمشارقتها ومغاربها ترفع اسم فلسطين من محفل الى محفل
بعد أن كان نسيا منسيا، فوالله إننا لمتيقنون بأنك، بحكم زهدك وورعك واخلاصك،
ستكون خير رسول وخير رحالة وخير موحد ومسترحم لنا عند الله في السماء.
فكيف لا، وأنت من صنعت من عدم النكبة واللجوء هوية! وكيف لا، وأنت كالمارد
العملاق من خندق الى خندق كالبوصلة! وكيف لا، وأنت الخبير الذي تحول من

حصارك مهزلة! وكيف لا وبعكس ما رسموه وابتدعوه من قتل جبان، تبقى أنت، أنت المسألة. فرحيك وإن دغدغ عواطفهم، فانه لم يرحهم. وإن كان بإمكانهم أن يستحضروك أو يستنسخوك رمزا مجددا للسلام، فإنهم لن يتوانوا أن يفعلوا. فكيف لا، وما يخادعون أنفسهم به من ازاحة للعقبة من الطريق، انما هو السراب بعينه. وان اعتقدوا أنهم أزاحوا العقبة الكأداء من طريق السلام، فاعلم أنهم بدؤوا يدركون أنهم بفعلتهم، قد أزاحوا السلام نفسه من الطريق. فأنت التوازن والميزان، وأنت كنت وتبقى المرحلة.

ايها الجبل العاتي على الرياح، لم يتغير الكثير بين الأمس واليوم. فكما ظللت القائد رغم انوفهم، في لحدك تبقى القائد. روحك تطاردهم من زقاق الى زقاق، وتضيق على رقابهم الخناق. نم قرير العين ان استطاع النوم اليك سبيلا . فلن يغير احد في الثوابت. فأنت برحيك، لم تبق ولم تذر . طوقت الخصوم ولم تعنتهم. فمن سواك زفته الملائكة في ثلاث قارات. غير مسبوق في حياتك ! وبالمثل، غير مسبوق في ارتقائك ! وليس منا من سيمنحهم صك البراءة من دمك. ومن منا ستغمض له عين قبل ان نستجلي الحقيقة، كل حقيقة النيل منك.

أبا عمار! أبا الشهداء! أبا الأبطال! يا باعث الأمل الدفين ! يا موقظ الأحلام من قلب السنين ! يا مشعل الثأر ! إننا لا نلين ! على يدك أصبحنا الرقم الصعب بعد أن كانوا ينادوننا لاجئين !

أبا عمار! يا من بعون الله في الكرامة انتصرت بالسته على الستين ! يا من صمدت في بيروت بعكس جيوشنا التي ما احتملت من الأيام ستة، ولكنك صمدت انت ثمانين ! وعندما خرجت كنت مرفوع الجبين. ما تخاذلت ! ما تنازلت! ما جثوت! ومن هنا، جاء قرار الغدر من الأعداء لأن الذل وعرفات ليس بينهما لقاء في فلسطين. أبا عمار! وأنت في الثرى الذي عشقت وأحببت. نعاهدك بأن يكمل أشبالك المشوار، وأن يواصلوا ويصلوا الدرب الذي بدأت وأن يمسكوا بالعلم الذي رفعت والأمل الذي بعثت.

أبا عمار! طوبى لك مع الشهداء والأنبياء. طوبى لك في جنات الخلد، يا من فتحت لنا باب الجهاد وابتعدتنا عن طوابير الاستجداء. طوبى لك من كل شهيد، من كل

جريح، من كل أسير، من كل أم تكلى فقدت وحيدها على مذبح فلسطين، من كل
أرملة قدمت زوجها فداءً لفلسطين، من كل يتيم ضحى بأبيه حبا لفلسطين.
أبا عمار! أرادوك أسيرا أو طريدا أو قتيلا. ولكن هيهات هيهات ! تماما كما أردتها
ها أنت شهيدا، شهيدا، شهيدا.
أبا عمار! نم قرير العين. فنحن على خطاك سائرون. ولن نتنازل او نتهاون في حقنا
الذي ضحيت من أجله مهما جعلوا الكلام معسولا والمال مبذولا والذل مطلوبيا.
فخطاك خطانا، وصمودك صمودنا. وأنت جبلنا الذي لا يلين.
أبا عمار! نعاهدك أن نجعل من فلسطين اسما ورمزا لكل غال ونفيس، ومن تراب
القدس وسادة لكل دفين.
أبا عمار! العهد هو العهد، والقسم هو القسم أن لا تلين لنا قناة حتى يرفع العلم
شبل من الأشبال او زهرة من الزهرات على مساجد القدس وكنائس القدس وأسوار
القدس . العهد هو العهد والقسم هو القسم أن لا نكل ولا نمل حتى نصلي في
القدس، حيث تكون معنا بروحك وحيث سيكون جسدك الطاهر معنا في ثرى القدس
الطهور. إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً، وإنا لصادقون.

أستاذ العلوم السياسية في جامعة بيرزيت

[http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?
id=1a095bcy27301308Y1a095bc](http://www.al-ayyam.ps/ar_page.php?id=1a095bcy27301308Y1a095bc)